تجليات الغربة في ديوان " غربة وناي"

دراسة : فاتن شوقى شاعرة وناقدة

تتخذ الغربة مسارب متنوعة عند الشاعرة "جيهان عكاشة" عبر دروب ديوانها الأول " غربة وناي" والمكون من " ثمان وثلاثين قصيدة"، باللغة العامية المصرية ، وقبل الولوج في فيوض هذه القصائد، لابد أولا :من الإقرار بأن هذا الديوان:: هو التجربة الأولى للشاعرة، والتي تجعلنا نبتعد قليلا عن مساحات النقد الجاد بمدارسه، والميل قليلا نحو التشجيع والثناء على هذه الموهبة الفياضة، وكذلك: لابد أن نعي أن الشاعرة: تعبر من خلال قصائدها وخاصة "قصائد الغربة " ،عن تجربة حقيقية جعلتها تبتعد عن وطنها فوق " التسع عشرة سنة"، لذلك جاء العنوان " غربة وناي" تجسيدا حقيقيا لتجربة معاشة "، وجاء عنوان الديوان " غربة وناي" موفقا ومناسبا لقصائد الديوان، وهذا الربط الفني الجميل بين" قسوة الغربة" و"جمال البوح الحزين بقوة الناي "،وتجلت مسارب متنوعة للغربة ،فطافت عبر قصائد الديوان، ناثرة لغة خاصة ،وحالة شعرية مختلفة تختلف من قصيدة لأخري . ومن هذه المسارب المتنوعة لتجليات الغربة ، نقول:

أولا : المشهدية، دراما القصيدة الشعرية :

تتكىء الشاعرة في بعض قصائدها على المشاهد الشعرية التي تشكل دراما معينة مجدولة برحيق الغربة ، لذلك تجد توفر عناصر المكان والزمان والحدث" الحدوتة" إيمانا منها لمد جسور التواصل بين التجربة المعاشة لمرارة الغربة، وبين نفس المتلقي ، فنجدها في قصيدة " نفس المكان" تعبر عن انكسار النفس والاغتراب الداخلي، وتبدل الحال بقولها : نفس المكان هو المكان...
جينا فيه سوا من سنين.

شكل الحيطان صوت البيبان..
ولحن مونامور الحزين.
لكن ماهوش نفس الشعور...

وبحضور مبهر لدراما الشعر نجد في قصيدة " صوت الناي" نجد الشاعر قد رسمت أجواء الحدوتة ، وجلسة الشاعرة ومكانها وشوقها ،وتدوين الألم وكتابته ،وهول شعورها بالغربة القاسية، حيث تقول:
صوت الناى وفنجان شاى ....
وبحر بعيد مالوش آخر.
شوق وحنين وطوق ياسمين...
وغربه قاسيه بضوافر.
وقلب كتوم معبى هموم...
ونفسه يقوم ومش قادر.

قلم مقصوف ومليان خوف..
ولسه برضه بيعافر.

ثانيا تجليات الغربة والاغتراب:

الغربة :هي بطل الديوان لا شك في ذلك ، لكن غربة الشاعرة هنا تنقسم إلى :" غربة داخلية " غربة الذات " الاغتراب النفسي "بكل تفاصيله " ،وهذا يتحقق نفسيا ، دون التقيد بمكان أو زمان ،كما في قصيدة " غربة ذات " ،التي تصورها الشاعرة بأنها كسر للقلب ،ومكان للوحدة، ونار في الأحشاء ، تراها تقول :

غربة ذات...
كسرت جوه القلب حاجات.
عاشها لوحده سنين وسنين..
يشرب مُر الآه في كاسات.
فاكُره طريق مفروش ياسمين.
ديما تخدعنا البدايات.

ويفيض الديوان بقصائد الغربة المادية، والتي تملأ القلب بالحنين، وتدمر الأعصاب ،لذلك تلعنها الشاعرة بقولها في قصيدة " الغربة":

ياملعونة في كل كتاب...
ونارك عايشة تكويني.
يادايسالي علي الأعصاب...

وحالفة انك تربيني.
مرارك ده ملي الأكواب..
وقطّع في مصاريني.

وتقول في قصيدة " جربت " ،مستنكرة كل الإجابات المطروحة لأنها تعبر عن قسوة الاغتراب النفسي ، فتراها تقول "
جربت من النور تتهرب؟
وتعيش عن ذاتك متغرب؟
وتشوف بعينيك كده أحلامك...
من إيدك قاعده بتتسرب؟
لو إنك لسه ما جربتش
بالله عليك أبدا ما تجرّب
وتراها تقسم وتتحدى :أن الغربة بجميع أنواعها ،واختلاف أماكنها صعبة ،ومرة، حين تقول في قصيدة " هاتلي":
وهاتلي غربة مش صعبة....
وهاتلي حب مش لعبة...
وهاتلي قلوب مابتبيعشي...
وهاتلي فراق مايوجعشي..
وقلب يكون بتوب أخضر..
ولا إغمقش ولا إتعّكر..

ثالثا" فيو ض الأسئلة البلاغية:

"السؤال هو التجاوز" كما قال النقاد ،وهو يأخذ العقل في رحلة استكشافية ،ويثير الذهن للغوص في رحلة البحث عن إجابات تتناسب مع المخزون الثقافي للمتلقي ، والشاعرة في ديوانها، كانت تباغت المتلقي بفيضان من الأسئلة بكافة أنواعها البلاغية والاستنكارية ،بغرض مشاركة القارئ في حالتها الشعرية المطروحة، فجاءت القصيدة محركة للعقل والعاطفة معا ،تراها تحدث الطير ،وتخاطبه و تسأله قائلة :قولي ياطير.....

جايب راحة البال دي منين.

نفسي أطير....

زيك كده وأفرد جناحين.

وبراح الكون كله يساعني...

وأدندن ألاقيه يسمعني..

وأحس إننا لسه بخير

و من الجميل أن تكون في الديوان قصيدة بعنوان " أسئلة مش مفهومة تطرح كل التساؤلات النفسية بداخل النفس البشرية ، فتقول الشاعرة مثلا:

جوانا أسئلة مش واضحة...

ولا ليها إجابات مفهومة؟

كل الوشوش بتبان صامدة...

أرواحنا شارده ومهمومة.

وتتساءل الشاعرة عن آثر العمر على الحالة النفسية يقولها في قصيدة " عمرك كام "،في حوار تخيلي بينها وبين الآخر؟

عمرك كام.....؟

أنا ؟ في التلاتين.

طب ليه عينيكي كده شاردين؟

ليه كل ماأسرح جواهم....

ألمح فيهم طوق ياسمين؟

ويصبح السؤال استنكاريا هنا ، ويعبر عن صدمة العمر عندما تسأل الأم وليدها : وهل استشهد أم لا في قصيدة " أم الشهيد" تقول الشاعرة :

هو صحيح.....

إنك مت ياانن عيني؟

يعني خلاص....؟

بعد الطريق بينك وبيني؟

يعني مش هسمع لصوتك...؟

بتقول ياأمي وحشتيني؟

رابعا " تجليات الصورة الفنية ":

يتجلى الشعر بتجلى الصورة الشعرية الفنية" وبرغم قلة الصور الفنية في ديوان " غربة وناي" إلا أن بعض القصائد لم تخلو منها فساهمت في علو اللغة وارتفاع حالة

القصيدة وبعدها عن المباشرة فنجد الشاعر تصور قساوة الغربة وتشبهها بشجر اللبلاب الجميل المنظر لكنه يلفلف عليها فيخنقها، بعدما تجلى في عينيها كالبساتين في صورة رائعة تقول في قصيدة " الغربة" :

وفكرتك نسيم خلاب...
يهفهف في بساتيني.
أتاريكي شجر لبلاب..
ولفلفلي على سنيني.

كما الوحش إللي له أنياب...

وسنيتله سكاكيني.

وفي قصيدة "إفتحي للشمس بابك" نجد صورة تفاؤلية جميلة ودعوة لرسم البهجة بريشة شاعرية رشيقة ،تقول :

كحلي عيونك ونقي..
أحلي فستان من دولابك.
إرسمي التوت في شفايفك
لونيه بجنون شبابك.

وفي قصيدة " أسئلة مش مفهومة " تعلو الصورة الفنية عند تصوير الغربة بأنها مغروزة في أحلام البشر بضوافر قاسية "صورة موحشة قاسية " لكنها تعبر عن فداحة الألم ومرارة العيشة " تقول الشاعرة

ماشيين بدربك بنعافر..

مغروز في أحلامنا ضوافر.

خامسا :الغنائية في القصائد:

تتسم قصائد الديوان بالغنائية المفرطة ، وهذا يتأتى من حرص الشاعرة دائما على القافية، والدفقة الشعورية الفياضة قي الديوان، لذلك تجلت الغنائية كسمة في ديوان " غربة وناي" ، وخاصة في القصائد التي تتغني بالوطن ،وتلعن الغربة وتناجي للمصرية والانتماء الخالص مثل قصيدة "إلى مصر .. الوطن" حيث تقول الشاعرة :

ضمي بقي ضمي..
وخديني من همي.
خلّي الوتر فيا....
يرجع كده يغني.
طب واربي لي بابك..
دا الحلم مستني.
من إمتي في بعادك..
عاش قلبي متهني؟

وأيضا يتحقق هذا الملمح في قصيدة " مشاعر" ،فتقول الشاعرة:

مشاعر تهدك....مشاعر تذلك.
تتوه طريقك .. وممكن تدلك.
مشاعر ترافقك تمام زي ضّلك.

لا يعرف حدودها زمان أو مكان.
مشاعر تحاول تقاوم سمومها.
بتعشق ريحتها وتدمن نسيمها.

سادسا" أوتار شعرية أخرى :

لعبت الشاعرة في ديوان" غربة وناي" على أوتار حياتية عديدة وعبرت عنها بشاعرية في قصائدها ؛فتراها داعبت المجردات مثل مخاطبتها " للبرد" في قصيدة ذكية قلما نجد شاعرا يفعل هذا اسمها "يافرحتك يابرد" حيث تقول :
الكل حاسس بيك.
وإنت ولا بتحس..
وتعلو بشاعريتها عندما تتمنى أن تكون بسمة و رسمة وشمس: في قصيدة "
بحلم أكون بسمة" فتقول :
بحلم أكون بسمة...
علي وش كان زعلان.
أو حتي أكون رسمة...
حلوه بايد فنان.
وأحلم أكون شمسه...
طلة في عز البرد.ضلة
ولاّ أكون لمسة...
طرحت جناين ورد.

وبما أن اسم الديوان " غربة وناي" فقد ربطت الشاعرة بين وجع الغربة وصوت الناي الحزين وكأنه المعبر الأوحد والأجدر عن مشاعر الفقد والاغتراب " فتجد قصيدة بعنوان " يا ناي.. قول لهم." تقول فيها :

ياناااااي طب قول لهم....
يفيد بايه الندم...

لو يبكى فينا شعور
لما الوشوش تبتسم...
لكن الفؤاد مكسور.
لما الدموع تترسم....
في بحرها المسجور.

ولا تنسى الشاعرة مكانة الأم ؛ولكن من وجهة نظرها حيث تراه تعلي من قيمة الدراما بذكرها ذكريات "أمها وأنها قدرت كل مشاعرها عندما أصبحت أما مثلها " تراها تقول في قصيدة " وكبرت ياأمي" :

فاكره يوم وقع سني ؟
وقولتي بداله ييجي إتنين؟
وأهو قلبي وقع مني...
واجيب غيره يا أمي منين؟
وألقى عمري بس ازاي

دا تاه مني في غمضه عين.
وتتحدث أيضا بلسان الرجل الشرقي في قصيدة " مشاعر رجل شرقي " وبلغة الصعيدي" في قصيدة " يا صعيدي" ولنا أن نلفت النظر والذائقة إلى هدفين سعت إليهما الشاعرة " جيهان عكاشة " عبر ديوانها " غربة وناي"

أولا" : معاصرة الحدث ،وطزاجة الرؤية، حيث وجهت رسالة إلى " أردوغان رئيس تركيا " ،وهي رسالة ساخرة تتهكم فيه على تطاوله على مصر وذلك في قصيدة " تحيا مصر" " إلى أردوغان تركيا" تقول فيها "

تحيا مصر...
غصب عن كل اللي فاكر..
نفسه يسوى..
وهو أصلا مايساويش.
اللي شايف نفسه عالي...
وأوطى منه ماتلاقيش.

وأيضا نجد براعة في ملاحقة الحدث بسرعة الشعر بالقصيدة الكورونية " التي تصور هذا الوباء العالمي الذي اجتاح النفوس و أخاف البشر ، والجميل أنها عالجت الكارثة من وجهة نظر الندم على مافات ، متخذه وسيلة العظة للبشر وأنه غصب من الله " تقول :

ثانيا: المتجول في دروب الديوان ،وقصائده، يجد حزنا

وولعا خاصا جدا بسبب غربة الشاعرة، ويتأتي ذلك عبر قصائد عدة ، لكن الشاعرة استطاعت أن تقيم موازنة عادلة شعريا: بأن تبث دفقات التفاؤل أيضا، والدعوة للمرح والابتسامة عبر قصائد أخرى، فجاء الديوان من حيث طرح الموضوع، متوازنا، وكأنها تعبرعن تقلبات النفس البشرية ،ويتضح ذلك عبر قصائد تدعو فيها الشاعرة إلى الفرحة، مثل قصائد : افتحي للشمس بابك ، وأوعى تقول، ومابنعرفش، تراها تقول مثلا: في قصيدة " غمض عينيك"

غمض عينيك وإسرح.....
وإحضن في أحلامك.
خللي الفرس ترمح...
وإرخي لها لجامك.
طب إمتي راح تفرح..
تسعد بأيامك..؟
كام مره سيبت الألم...
يرقص علي حطامك؟

ولا تنسى الشاعرة أن تختم ديوانها بالتفاؤل الجميل والدعوة إلى إسعاد الذات البشرية، بقولها في قصيدة " فرفش نفسك"

فرفش نفسك نعنش ذاتك..
رشرش ورد في كل حياتك
إوعى الخوف يتمكن منك..

وإياك تستسلم لآهاتك..
فرح الدنيا كله ده حقك...

ختاما نقول:

" ديـوان " غربـة ونـاي" هـو الـديوان الأول للشـاعرة "جيهان عكاشة " ديوان يصادق الغربة، ويعيش أجواءها برغم تنوع القصائد وملامستها لموضوعات حياتية أخرى، وكذلك نجد لغة الشاعرة مباشرة جدا، لكنها تميل قليلا لاقتناص الصورة الفنية، وهذا يرجع إلى عدم اختمار التجربة الشعرية ،رغم امتدادها، والذي نأمل أن تنضج كثيرا في الدواوين القادمة بإذن الله ؛لكنا هنا بصدد الاحتفال والتشجيع والدعوة لقراءة هذا الديوان، الذي يبشر بشاعرة موهوبة ،تسعى دائما للجديد ، ولنا أن نقول لها: ننتظر منك المزيد على مستوى الفكر واللغة والصورة الفنية ،ونبارك بصدق وفرح :القطفة الأولى من شجرة إبداعها و هو ديوان " غربة وناي" .

دراسة : فاتن شوقى .

ناقدة ـ شاعرة